محاضرات

سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

بعثة الرّسول

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لفضيلة الشّيخ صالح بن محمَّد اللُّحيدان

رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (١)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شرور أَنْفُسِنَا وسَيئاتِ أعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وخليله وَرَسُولُهُ، أرسله رحمة للعالمين، أرسله علىٰ حين فترة من الرّسل، فبلّغ الرِّسالة، وأدّىٰ الأمانة، ونصح للأمة، وجاهد في الله حقّ جهاده، فأخرج الله به جَلَّوَعَلَا من الظُّلمات إلىٰ النور، هدَىٰ به ضُلاّلا، أحيا به أمواتا، وأشاع به نورًا ملأ أرجاء الدنيا؛ ملأ الدّنيا علمًا، وأعطىٰ النّاس كلَّ ما يحتاجون إليه لأمور دينهم ودنياهم صلوات الله وسلامه عليه.

كانت الأنبياء قبل محمد صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رسالاتهم إلىٰ أقوامهم، وكان كلّما هلك نبيٌّ بعث الله نبيا ورسولا، يقول الله: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر]؛ أي: ما من أمة سلفت إلا وجاءها منذر يُنذر، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء]، وقد فعل جَلَّوَعَلَا؛ بعث الرُّسل والأنبياء من آدم، وأوّل الرُّسل نوح عَلَيْهِٱلسَّلَامُ.

والقرآن الكريم فيه قَصص الأنبياء وما واجههم به أقوامهم، وما حصل علىٰ من ضلّ وتصدّىٰ للدعوة بالإنكار والعداوة؛ لأنّ الله جَلَّوَعَلَا يُملي؛ لكنه إذا أخذ الظالمين أخذهم أخذ عزيز مقتدر.

وكانت بنو إسرائيل تتوالىٰ فيهم الأنبياء، وكانوا لطول بقائهم في مصر مستعبدين توارثوا الأخلاق السّيِّئة والعصيان البذيء حتىٰ قالوا لموسىٰ: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة]، وقد طلبوا من موسىٰ أن يريهم الله جهرة.

ثم قصّ الله علينا كثيرا من قصصهم، وما واجهوا به أنبياءهم: يقتلون الأنبياء، ويحرّفون وحي الله، ويكذِبون علىٰ الله جَلَّوَعَلَا، وتتوالىٰ لهم الأنبياء، كلما هلك رسول بعث الله لهم رسولا يسوسهم.

ثم بعث عيسىٰ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ علّمه التوراة والإنجيل، وكما قصَّ الله جَلَّوَعَلَا عن بدايته عَلَيْهِٱلسَّلَامُ وكلامه وهو في المهد، إلىٰ أن قبضه الله، وادعت اليهود أنها قتلته، وقد كذَّبهم الله وهو أصدق القائلين.

ثم لم يبعث الله بعد عيسىٰ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ رسولا، فكانت المدّة الزّمنية بين عيسىٰ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ وبين بعثة سيد البشر؛ سيد ولد آدم، فترة طويلة خلَت من الرُّسل، وترحَّل العلم، رغم أن العلم الذي بعد عيسىٰ وبعد موسىٰ عبَثَ به الأتباع، فحرّفوا وبدّلوا وكذَبوا ونسبوا إلىٰ الله.

ثم إنَّ الله جَلَّ وَعَلَا اقتضت حكمته بعث دعوة إبراهيم، فإنّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما ترك هاجر وابنها في الوادي الذي غير ذي الزَّرع وأبعد عنه وقف وتوجه إلىٰ القبلة، وكان ما قصه الله علينا في كتابه الكريم: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم:٣٧]، إلىٰ آخره، ودعا الله أن يبعث لهم رسولًا من أنفسهم، فمحمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو دعوة إبراهيم.

وهٰذه الفترة الطويلة -الفترة الزمنية الطويلة- قد أظلمت الدنيا بأسرها واستشرىٰ الشرك الأكبر كما استشرىٰ الكذِب علىٰ الله جَلَّ وَعَلَا والعُدوان، فاقتضت حكمة الله جَلَّ وَعَلَا وإرادتُه بِعثة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولأنه سوف يُبعَث إلىٰ البشرية أجمع هُيِّئت الأحوال قبل مبعثه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ في أيام نشأته بين قومه وهم أهل شرك؛ يعبدون الأصنام، ويذبحون لها، ويستقسمون بالأزلام، وإن بقيت عندهم بقية من ملة إبراهيم الحنيفية؛ لكنهم شوّهوها حتىٰ رسموا إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يستقسمان بالأزلام؛ لما فتح النبي الكعبة ودخلها ورأىٰ الصور فيها رأىٰ فيها صورتي إبراهيم وإسماعيل مرسومين يستقسمان بالأزلام قال: «**أخزاهم الله إيه والله لقد علموا أنهما لم يستقسما بالأزلام**».

فبعث الله هـٰذا النبي؛ لكن الله هيأه، نشَّأه تنشئة كانت قبل البعثة محل احترامٍ وإجلالٍ من قومه؛ هو ولد عليه أفضل الصلاة والتسليم عام الفيل، وكأن الله جَلَّ وَعَلَا أراد أن يوجد للبيت الحرام والبلد الذي حرّمه الله جَلَّ وَعَلَا يوم أن خلق السمٰوات والأرض أن يوجد مقدِّمات ليهتم به الناس، فلما جاء صاحب الفيل لهدم الكعبة نزل به وبقومه ما نزل مما قصه ربنا جَلَّ وَعَلَا، وما ترك من العاقبة لهم كعصفٍ مأكول كما في قصة سورة الفيل.

ثم جاء بعد ذلك حرب بين العرب وبين الفرس في يوم ذي قار؛ فانتصر العرب علىٰ الفرس كما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ذاك أول يوم انتصر العرب انتقموا من الفرس، كأن هـٰذه مرهصات لبعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما هو صلوات الله سلامه عليه فقد نشأ في بدايته تحت كنف جده عبد المطلب، ثم توفي جدُّه وهو لا يزال في سن مبكرة، فتولىٰ كفالته عمُّه أبو طالب ونشأ صلوات الله وسلامه عليه علىٰ الكمال في أدبه وصدقه، حتىٰ اشتهر بين قومه في الجاهلية بأنه الأمين.

وعند بناء الكعبة واختلاف قريش من يضع الحجر في موضعه، وتنازعت بُطون قريش من يكون له شرف حمْلِ الحجر لوضعه في موضعه، واختلفوا ثم قالوا: أوَّلُ داخل يدخل عليكم يتولىٰ ذلك. فلما

دخل النبي قالوا: هـٰذا الأمين. فاتفقوا؛ فقال لهم: ضعوا الحجر في ثوب، ثم تحمل كل قبيلة طرفا من الثوب وارفعوه، ثم هو يأخذه من موضعه ويضعه في الكعبة في موقعه.

ثم جاءت إرهاصات وعلامات ذكرت في طفولته وقصة رضاعه، فإن العرب كانوا يعتنون بالرضاعة وقريش بالخصوص، يبعث الموسرون فتيانهم الصغار للارتضاع في البادية لصفاء جوِّها وسمائها وهوائها حتىٰ يشبَّ الناشئ في حياة مليئة بالحيوية والصبر، فجاءت حليمة من وفد إلىٰ مكة لأخذ رضعاء من قريش، وعفَّت المرضعات عن أخذ النبي لأنه يتيم؛ لا أب له ولا أم ذات مال، فلما رجعت النساء وكل واحد تحمل طفلا هابت حليمة السعدية أن ترجع أمام الناس لا أحد معها، فرجعوا وأخذوا ذلك اليتيم صلوات الله وسلامه عليه، ثم ذكرت ما ذكرت من البركة التي حلّت بهم وعليهم وما رأوا، ثم ذكرت قصة ما حصل له صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ حتىٰ خاف أخوه من الرَّضاع عليه.

ونشأ صلوات الله وسلامه عليه علىٰ أسمىٰ الأخلاق.

ثم شهد حلف قريش في الجاهلية مع أعمامه أن ينصروا المظلوم ويمنعوا الظُّلم، وذكر صفات، وأخبر أنه لو دعي لمثل ذلك في الإسلام لأجاب.

ثم اشتغل بالتجارة وصارت متاجرته بمال خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا وأرضاها، وهي أوَّل زوجة تزوجها ولم يتزوج عليها، وذكر أنها ممَّن كَمُل من النساء، فقد قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا** فلانة وفلانة وعدّ خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا».

ومما يذكر أنه ذهب إلىٰ الشام مع عمه أبي طالب، فلما وصلوا إلىٰ الشام ومرّوا علىٰ بحيرة الراهب ورأىٰ صفته، قال لهم: إن هـٰذا إذا هو دخل بلاد الشام يُخشىٰ عليه من اليهود، لسبب أن صفته صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ المثبتة في الكتاب الأول في التوراة وفي الإنجيل من رآه وهو يحسن التفرُّس عرف أن هـٰذا هو الشخص المذكورة أوصافه في الكتاب، فخوّفهم عليه فأرجعه عمُّه أبو طالب ولم يذهب به إلىٰ الشام.

يقول النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله نظر إلىٰ بني آدم -أو الناس- فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب في الديارات**» والشأن في الدِّين أن يكون ظاهرا يهدي ويهتدىٰ به، فأرسل محمدا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بعثه بهذه الرسالة، وقد جاء في الحديث الصحيح عن المصطفىٰ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**أوتيت خمسا لم يؤتهن أحد قبلي من الأنبياء:**

بعثتُ إلىٰ الناس كافة، وكان النبي والرسول إنما يبعث إلىٰ قومه خاصة.

ونصرت بالرعب مسيرة شهر.

وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي.

وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلي» يعني في أي موقع.

«**وأوتيت جوامع الكلم**».

لأنه رسول للمكلفين في الأرض عامة، أعطي ما يناسب الحال فكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ما من نبي أو رسول إلا أعطاه الله من المعجزات ما علىٰ مثله آمن البشر أو يؤمن البشر، وإنما جعلت معجزتي كتابا يتلىٰ**»، ومعنىٰ هـٰذا أن هـٰذه المعجزة مستمرة إلىٰ أن يرث الأرض ومن عليها، فتظهر النفس، لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها وقد تحدىٰ الله العرب، وكان من الفصاحة والقدرة علىٰ البيان، ما كانوا عليه وأنه مضرب المثل، وتحداهم الله بأن يأتوا ولوا بصورة واحدة، ولو كان بعضهم لبعضهم ظهيرا، ولو اجتمعت الإنس والجن.

أهم ما يُدعىٰ البشر إليه عبادة الله، إخلاص العبادة له جَلَّ وَعَلَا، ولهذا جلس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة عشر سنين يدعو الناس، لما نزل الوحي عليه والبعثة تصدىٰ لها العرب -الأقربون ومن سواهم-؛ لكنه لم يستطيعوا أن يقولوا عنه أي اتهام فيما سبق، ليس له ملك سلب فيريد استرداده، ولا مال أُخذ له حتىٰ يطلب استحصاله، وما كان شغوفا بأمر الدنيا حتىٰ يُظن به ما يظن، وما كان مغمورا في قومه، فهو عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**خيار من خيار من خيار**» قريش أشرف العرب، وجدُّه عبد المطلب سيد أهل الوادي سيد مكّة، وأعمامه من سادات قريش، لا أحد يستطيع أن يغمز مكانتَه في مجتمعه صلوات الله وسلامه عليه.

كان يُعرف عند القريب والبعيد بأنه الأمين؛ ولهذا لما أسلم بُجير بن زهير بن أبي سلمىٰ ولم يسلم أخوه كعب صاحب (بانت سعاد) واستنكر ذلك، ما ذمّ محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنما قال لأخيه: إنك أخذت دينا لم تلفِ عليه أمّا ولا أبا.(١)

---

(١) قال:

عَلىٰ خُلُقٍ لَم تُلفِ أُمًّا وَلا أَبًا ... عَلَيهِ وَلَم تُدرِك عَلَيهِ أَخًا لَكا

وقال عن محمد:

شَرِبتَ مَعَ المَأمونِ كَأسًا رَوِيَّةً فَانهَلَكَ المَأمونُ مِنها وَعَلَّكا

لا يقدرون أن يقولوا عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي قولا يشينه؛ لكنهم قالوا: إنهم يتمسّكون بما عليه آباؤهم. ولهذا قال أبو طالب في رده على قريش:

لَقَد عَلِموا أَنَّ ابنَنا لا مُكَذَّبٌ لَدَيهم وَلا يُعنىٰ بِقَولِ الأَباطِلِ

ومع ذلك لم يسلم، الله حاكم عليم، نصر نبي الله وبقي على ما هو عليه، ومات على الكفر، لما قال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا عم؛ قل لي كلمة، قل: (لا إلٰه إلا الله) كلمة أحاجُّ لك بها عند الله**» فلما خاف أبو جهل وصاحبه أن يلين أبو طالب لابن أخيه لما رأياه داخلا قاما وجلس عند رأسه، وكلما قال له هٰذه الكلمة قالا ذلك الرجلان: أترغب عن ملة عبد المطلب، يذكرانه بالأسلاف بأبيه عبد المطلب، وما هم عليه، فكان آخر ما قال عن نفسه: إنه على ملة عبد المطلب.

ولما أراد النبي أن يستغفر له أنزل الله في القرآن الكريم: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾ [التوبة].

كانت الأجواء من حيث أهلية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مهيَّأة، وكان ما يخبر به كان قبل أن يجهر بدعوته ويستجيب لأمر الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢﴾ [المدثر]، قبل أن ينزل عليه هٰذا الأمر، كان يذهب يتعبد في غار حراء، يتحنّث ويأخذ طعامه وشرابه ويبتعد عن الناس، لا شك أن هٰذا ملفت للنظر، وكانت قريش تتعجب من سلوكه ومسلكه؛ ولكن لمكانة عندهم وموضعه من الصدق ما كانوا يعترضون عليه، ثم هو لم يتعرض لهم ولا لآلهتهم.

وإنما نزل ما نزل عليه وجاء قلقا خائفا وقال لخديجة: «**دثروني دثروني**» وأخبرها بخوفه، وكانت كاملة كما وصفها بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فما كان منها لا أن قالت: كلا الله لا يخزيك الله. هم يعرفون الله، ويعرفون أنه الخالق الرازق المدبر كما ذكر الله عنه في القرآن، ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم.. لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ قالت هي وهي باقية على ما عليه قومها: كلا والله لا يخزيك الله، لماذا؟ قالت: لأنك لتصل الرحم وتكسب المعدوم -يعني تعطي الفقير- وتحمل الكَل. ذكرت الأمور التي تنفع العباد ويقوم بها من الناس إلا الأفراد قالت: مثلك لا يخزيه الله؛ يعني لا تخف.

ثم حصّل ما حصل من الخير العظيم الذي لا نعمة على البشرية، من وجد هٰذه البشرية على الأرض

لا نعمة أجل من بعث محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. الناس في السابق كانوا قلة، وكانوا ينعمون بخيرات الأرض، وكانت الصدقات قبل إذا جمعت كثيرة تنزل النار فتأكلها، وإن وجدت صدقات فردية من ناس كما في قصة الرجل الذي فيمن كانوا قبلنا: لأتصدق الليلة بصدقة؛ لكن لما اتسعت الدنيا بكثرة ساكنيها؛ ولأن الوقت متهيئ لأن تتواصل البشرية في أوقت محدودة اقتضت حكمة أرحم الراحمين أن يخرج صاحب الرسالة الشاملة الكافة المشتملة علىٰ حل جميع مشاكل البشر والدلالة علىٰ تجنّب مشاكل الآخرة.

ولذلك بعث الله هـٰذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم فدعا إلىٰ التوحيد، إلىٰ إخلاص العبادة لله وحدة، إلىٰ نبذ وترك الشرك، إلىٰ مجانبة الظلم، إلىٰ إنصاف المظلوم، إلىٰ إعطاء المرأة حقها، المرأة عند العرب وعند الأمم الأخرىٰ ما كان لها كبير وزن، وإنما كان العرب أحسن الأمم احتراما للمرأة في الجاهلية لكن عندهم كثير مما عند غيرهم من ظلمها.

فجاء الله بهذا الدين العظيم الذي بعث به سيد البشر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأعطاها كل ما يناسبها ويرفع عنها المذلة والابتذال، ويصد عنها الظلم والاحتقار، فما من حق صالح للمرأة لا تبتذل معه، ولا تذل به، إلا وأعطاها الله في دين الإسلام ذلك، ومهما لهثت البشرية لتصل إلىٰ ما وصل إليه الإسلام من تحقيق حقّ المرأة مع صيانتها وحمايتها الذي جاء في الإسلام لن يستطيعوا، وإنما يسعون جاهدين لإخراج المرأة من مجالات الصيانة والحشمة والعفة والنصرة، فصلوات الله وسلامه علىٰ المبعوث رحمة للعالمين.

والذي علىٰ المسلمين أن يعرفوا قد هـٰذه الرسالة، وجليل حق من أرسل بها صلوات الله وسلامه عليه، وأن يهتموا بنشر هـٰذا الدين، وأن يبلغوه للبشرية كلها، ليحققوا قول الله جل من قائل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران:١١٠]، تبلغون دين الله توصلون هـٰذا الدين لكل موقع في هـٰذه الأرض حسب الاستطاعة، والنبي أخبر عليه أفضل الصلاة والتسليم أن هـٰذا الدين سيبلغ ما بلغ الليل والنهار، ما من موقع في الدنيا كلها في الأرض إلا وبلغه ليل أو نهار، والنبي أخبر ولهذا ربما كان الناس يتعجبون في السابق، وإن كانوا يجزمون ألا استحالة علىٰ شيء يريده الله لن يشق عليه من يتصور كيف يبلغ الدين مجاهل الأرض التي لا يتيسر الوصول إليها إلا بمخاطرات ومخاطرات.

وإذا به في هـٰذا الزمن قد أصبح متيسِّرا بما علَّم الله به البشرية من وسائل البلاغ والتبليغ مما ينبغي أن

يُحرص عليه، أن يعتنىٰ بمعرفة ما جاء به هـٰذا الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، القرآن بين أيدينا، لكن ينبغي أن يحرص عامة الناس أن يطّلعوا علىٰ سنته صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأن يعرفوا سيرته قبل البعثة وسيرته بعد البعثة، يوم كان يدعو، وسيرته بعد أن أمر بالهجرة ورفع لواء الجهاد في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله من أعظم معالم الدِّين، الجهاد في سبيل الله هو مشروع بإجماع أهل العلم إلىٰ قيام الساعة، عند الملحمة الكبرىٰ التي يعقبها خروج الدّجال ثم نزول عيسىٰ ملحمة قتال وجهاد، يخطط لها، يعرفها المسلمون بما قصه النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من أخبار الساعة وأحداثها، ويتطلع لها النصارىٰ واليهود؛ لكن علمهم بها علم مُظلم، بقايا تلقوها من الكتاب الأول، ودخلها ما دخلها من التبديل والتحريف، أما المسلمون فتلقوها من مشكاة النبوة؛ لأن الله حمىٰ شريعة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وملته بما يسّر لها من حفظه إياها: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، يسر لسنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من يخدمها ويكافح عنها ويسلط عليها الفحص والتفتيش ليُبعد كل ما أدخله المبطلون بين ثناياها، فأصبحت بحمد الله مضيئة مشرقة حية كأنما نطق بها المصطفىٰ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قبل لحظات، وفيها من المعاني ما يبهر العقول، كيف لا والنبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**أنا أفصح العرب؛ لأني من قريش وتربَّيت في بني سعد**»، فما نطق به من عنده من كلامه هو صلوات الله وسلامه عليه فلا شك نه أفصح الكلام، وأما نزل به الوحي السماوي القرآن فكلام الله الذي تحدّىٰ الله به أن يأتي أحد بمثله ولو قلّ.

أنا لا أحبّ أن استرسل في هـٰذا الكلام الذي بعضه قد يكون مرددا والمردد يُمل، وقديما قال الشاعر[1]:

مــا أَرانــا نَقــولُ إِلّا [رَجيعًــا] وَمُعــادًا مِــن قَولِنــا مَكــرورا

ولكن الكلام الذي إذا كرر نَبَّه من غفلة وذكّر من نسيان وحفز من همة، يرجىٰ أن يكون فيه خير ونفع.

ومما ينبغي أن يعتنىٰ به عندما تحدث أمور ويُعتدىٰ علىٰ ما يُجلُّه المسلمون معتدي أن يجتهد الناس بالعمل بحكمة، والاستنكار بأدب وروية، وبثّ ما يمكن أن يكون عامل خير للناس؛ ليعرف الناس قدر دينهم وعظيم أثره لمن تمسك به، وما كان كنبيهم عند خاصتهم وعامتهم.

فأسأل الله جَلَّوَعَلَا بأسمائه وصفاته الذي جمعنا في هـٰذا المكان أن يرزقنا جميعا الإخلاص في العمل،

---

(١) وهو كعب بن زهير بن أبي سلمىٰ.

وحسن متابعة رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحرص علىٰ تعرّف سنة نبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيرته.

وإني أنصح كل واحد أن يجعل وقتا ولو يسيرا يقرأ فيه سيرة المصطفىٰ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن فيها عبرا ومذكرات وربط للإنسان ببدء هـٰذه الملة التي دعا إليها رسول الهدىٰ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما ينبغي أن يعتني بأكثر من لك في وقت بقراءة القرآن ويحاول أن يقرأ معاني ما يقرأ.

كما أنصح الجميع أن يتخذوا لهم جزءا ولو قليلا في قراءة أحاديث الأذكار فهي نافعة للمرء في نفسه وفي بيته ولأهل بيته وذريته، وفيها وقاية بإذن الله من شرور كثيرة، ما أحسن أن يكون المسلم له ارتباط وثيق بمنابع الهداية وأصول التشريع الإسلامي، ومن يتق الله يهيئ له من الأمور الكثيرة ما لا يستطيع أن يتهيأ له لولا توفيق الله.

هـٰذا وأسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يعز الإسلام والمسلمين، وأن يذل الكفر والكافرين، وأن يحمي حوزة الدين، وأن يصلح حال المسلمين في كل مكان، وأن يردهم إلىٰ دينهم ردا كريما، فإنهم لا اعتزاز لهم ولا عزة إلا بمراجعة هـٰذا الدِّين، فقد جاء في الحديث الذي ربما كررته أنا في هـٰذا المكان وفي غيره أن المصطفىٰ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا تبايعتم بالعينة، واتَّبعتم أذناب البقر، وتركتم الجهاد في سبيل الله، ضربكم الله بذل لا يرفعه عنكم، حتىٰ تراجعوا دينكم**» ومراجعة الدِّين ليس بأن يقول الإنسان: أنا مسلم، أو يصلي ويصوم؛ بل أن يصلي ويؤدِّي أركان الإسلام التي لا إسلام له إلا بها، ثم أن يحقِّق التزامه بأحكام الإسلام أن يتجنب المحرّمات من المكاسب والمطاعم والمكاسب والمشارب والمناكح، وأن يتفقّد أحوالَه، ويتفقد جماحات قلبه وتوجُّهاته، وكلّ ما أحس بهوًىٰ أو ميلٍ أو استثقال للطاعات يبادر لتأنيب نفسه؛ لأنه لا غنىٰ له عن به جَلَّ وَعَلَا، وهو محتاج أن يسأله، وهو محتاج أن يهيئ نفسا لأن يقبل دعاؤه وتُجاب مسألته، وتحقيق ذلك أن يتجنَّب المحرَّمات، كما في حديث «**رُبَّ أشعث أغبر يطيل السفر يرفع يديه يا رب يا رب**» يقول النبيُّ: «**ومطعمه حرام وملبسه حرام وغُذي من حرام فأنَّىٰ يستجاب لذلك**».

كما أسأل الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته أن يحفظ لهذه المملكة البلاد أمنها، وأن يصون لها ما هي فيه من خير، وأن يصرفها ويصرف عنها كل شر وبلاء وفتنة، وأن يصلح ناشئتها وكهولها وصغارها وكبارها، وأن يجعلهم قدوة في الخير والثبات، وبذل المعروف والإحسان إلىٰ الخلق بالقول والعمل، وأن يجعلها قدوة للعالم الإسلامي في كل خير وفي تجنُّب كل شر.

كما أسأله أن يوفق من ولاه الله أمرها، ويصلحه، ويملأ قلبه بالإيمان ويوفقه لكل أمر يعز هـٰذا الدِّين، ولكبت كل أمر يؤثر علىٰ هـٰذا الدين، وأن يجعل ذلك منه ابتغاء مرضاته، وأن يُثيبه عليه بالتوفيق بأمثاله، وتسديده في أموره كلها، وأن يصرفه عن كل شر، ويصـرف عنـه كـل شـر، وأن يرينـا في أعـداء الإسـلام المعتدين علىٰ بلاد الإسلام المتجرِّئين عليها بالحيل الماكرة والمقاصد الفاجرة، أن يرينا فيهم عجائـب قدرته، وأن يعاجلهم بأنواع من العقوبات، وأن ينوِّعها علـيهم، وأن يجعـل ذلـك مـن إيقـاظ المسـلمين لحاضرهم ومستقبلهم.

إنَّه مجيب الدُّعاء، وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

